لا تزال فيها آثار بنايات عتيقة كانت في القرن الخامس عشر محفوظةً بهيئة صالحة لايواء الناس

والسكان على ضفة البحيرة ما برحوا حتى اليوم يأتون هذه الجزيرة فيزرعون فيها بعض النباتات والاشجار والحبوب ويذهبون اليها على جسورة مشدودة بدلًا من القوارب التي كان يتخذها القدماء لهذه الغاية. غير ان اتصالاتهم مع الجزيرة كثيرًا ما يعرض لها التقطُّع لان الريح الغربيَّة التي تمرّ في وادي النهر الكبير تهبّ عامّة السنة تقريبًا كاعصار شديد يثير مياه البحيرة وتشتدّ خاصةً في ايام الصيف فتتعالى الامواج لاطمةً بغير انقطاع لسدّ الجزيرة الشمالي وضفافها

وكانت ضواحي بحيرة قدس في ما خلا ايام العواصف المتقدم بيانها ذات منظر عجيب يسبي الابصار بحسنه لان الالوان تمتزج بالنور امتزاجًا مذهلًا وكل شيء يكتسي بحلة من الغبار الذهبي الدقيق تحت جوّ مشرق وممتدل معًا فكان لهذا المنظر تأثير بليغ لا يقوى قلم على وصف جماله الباهر. ومن دواعي الاسف ان المبالغة في قطع الغابات والاحراج ذهبت بمثل هذا المشهد الفتّان الساحر للعقول

ولا ريب ان القارئ يتوهّم بعد هذا الوصف ان الجزيرة كانت آهلةً بوجوه باشّة تتنعّم برأى المياه الهادئة البرّاقة وان تلك الضواحي التي تأخذ بمجامع القلب عامرةً بالناس انتفت الهموم من قاربهم وفارقتهم دواعي الغم واسبابهُ. غير ان ما اتصل بنا من اخبار جزيرة قدس يصوّرها باشنع الهيئات ممثّلًا اياها كسجن ومنفىً تفيض فيه دموع الاحزان وتكثر التنهّدات والهواجس المقلقة. فانهُ في هذه الجزيرة القفراء ألقى الاب يرحنا ضحيّةً لغضب جوسلين وحقده ومن ذلك الحين انقطعت اخبارهُ وظن الناس انهُ قد مات وكانهم قالوا بان صاحب قصر القليعة هو الذي تسبَّب بموته مضيفًا بذلك اثمًا جديدًا الى سابق فظائعه المنكرة (ستأتي البقيَّة)

التساهل الديني

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

من اعظم آفات العصر التي ابتلانا بها التمدُّن الجديد منذ ربوعه في بلادنا انتهاكُ حرمة الآداب والحرص على حطام الدنيا ولذّاتها. فلمّا رجع في قلب الانسان حبُّ

العاجلة خفّ فيه اكتراثهُ للآجلة . والاستخفاف بالآخرة لا يكون الّا من نقص في الدين وتلك الطائفة الكبرى تذهب بالعاجلة والآجلة معاً

ترفّع دنيانا بتسريق دينا فلا دينا يبقى ولا ما ترفّعُ

على انّ قلة الدين لا تظهر فقط بالعدول عن فرائضه اللازبة او بالمجاهرة بالكفر بل كثيراً ما تبدو للعيان بطرائق خفيّة تتستّر برداء الصلاح . فتارةً يدعي اصحابها انهم استضاؤوا بانوار التمدن وتارةً يدّعون انّ الدين يحسن بالاحداث والنساء . وحيناً ينسبون اهل التقى الى التعصّب وطوراً يزعمون انّ الكهنة يبالغون في اطراء الدين لأغراض شخصيّة الى غير ذلك من الحجج الواهنة التي يتمسك بها هؤلاء الملحدون رجاء ان يردّوا عنهم سهام الملامة او يخدعوا السذّج فيستميلوهم الى آرائهم الفاسدة

ولعلّ اقبح ما جاء من هذا القبيل زعمٌ تشدّق به بعض الزنادقة وتناقلهُ عنهم الاغرار وهو ان ثبت لا يلبث ان يطمس معالم كل دين وينقض ركن كلّ ادب ألا وهو مبدأ التساهل الديني . وما ادراك ما التساهل الديني ؟ فانهُ سمٌّ ظاهرهُ دسم او صلّ لين اللمس يذيق الموت الاحمر

قبل الخوض في هذا البحث لا بُدّ من تحديد هذا التساهل وبيان غثّهِ من سمينهِ فنقول :

اوّلاً لا ننكر انهُ يترتب على تبعة الاديان على اختلاف نزعاتهم ان يعيشوا بالتحابّ والالفة وان يتعاضدوا في كل ما يؤول الى خير وطنهم ويتضافروا في نجاح امورهم الزمنيّة ويتكاتفوا في ترقية الهيئة الاجتماعيّة في العلوم والآداب والصنائع والفنون

ثانياً ليس لاحد ان يعترض لآخر فيجبرهُ كرهاً على اتباع دينهِ ولو تحقّق بلا ريب صحّة دينهِ وفساد دين غيرهِ . كما انهُ يتحتم عليهِ بألّا يستطيل في عرض آخرَ ويتعدّد بشخصهِ لاختلاف دينهِ

ثالثاً يُقتضى على ارباب الامر والنهي الّا يكرهوا رعاياهم على التديُّن بدين خاصّ وعليهم ان يسهروا على راحتهم ويصونوا حرّيّتهم تماماً ما لم يتخذ بعضهم الدين كوسيلة لإلقاء الشغب وبذر الفساد ورمي الفتن فانّ للحكومة حقّاً ان تضع حدوداً

لمثل هذا التطاول وتنقص من جناح المتسدين

هـذا التساهل الديني الذي تسأم به ولا يأباهُ احد من الكاثوليك بل من كلّ اصحاب الاديان. لكنّ الذين ينادون بهذا التساهل لا يكتفون بما سبق وانما يريدون ان يعتبر كلّ انسان بقيّة الاديان اعتبارهُ لدينهِ ولا يحاول ان يفهمهم بصحّة معتقدهِ. وهم يبنون زعمهم على مبدأين باطلين يثلّان ركني الهيئة الاجتماعيّة اعني الدين والادب

(فالمبدأ الاوّل) الذي يستند اليهِ هؤلاء القوم قضيّتهم هو انّ الاديان ينافي بعضها بعضاً فيثبت هـذا ما ينكرهُ ذاك. فالأولى اذن ان يعتقد كلّ واحد ما شاء في باطن قلبهِ ولا يكترث لما يؤمن بهِ غيرهُ لانّ دينهُ ودين غيرهِ سيّان في الصحّة او الكذب

فهذا المبدأ كما ترى كلّهُ شطط يؤدّي بقائله من اي دين كان الى الكفر تراً اذ لم يبقَ لاحد ندحةٌ ان يدافع عن دينهِ او يثبت صحّتهُ بل لا يجوز لهُ ان يجاهر بوجود الاله عز وجلّ او يقرّر حقيقة القيامة او يثبت كيان حياة اخرى لانّ هذه الحقائق ايضاً ينكرها الملحدون والزنادقة كما ينكرون خلود النفس ويعلّمون بانهُ ليس منْ فرق جوهريّ بين الانسان والبهيمة بل انّ الانسان والبهيمة لا يختلفان عن المادّة جوهريّاً

ثمّ ان هذا المبدأ الكفري يقوّض بنوع خاصّ ديانتنا المسيحيّة وتعاليم الانجيل الطاهر. فان ابن الله علّمنا طريق الخلاص وكرّر مراراً لتلاميذهِ "ان السماء والارض يزولان وكلامهُ لا يزول" ثم ارسل تلاميذهُ الى العالم اجمع "ليبشروا بكل ما علّمهم مهدّداً بالهلاك كل من لم يؤمن". وكذلك اثبت رسلهُ للمؤمنين انهُ يقتضي عليهم بان يتمسكوا بتعاليمهم ولا يتركوها "ولو اتاهم ملاك من السماء يبشّرهم خلاف ذلك". ثمّ مات هؤلاء الرسل كما مات ربّهم شهداء ايمانهم رفضوا انواع العذاب على جحودهِ الى ان تغلّب هذا الايمان على الدول والممالك وثبت مع ما اصابهُ من المحن والاضطهادات وهو اليوم اقوى من امس وسيبقى غداً كما هو اليوم "لأن ابواب الجحيم لن تقوى عليهِ". فكيف يأتينا هؤلاء الكفرة ويبشّرون بالتساهل الديني كأنّ دينا بضاعةٌ نتاجر بها ونتصرّف بها كتاع الدنيا. فلله من جهل هؤلاء لامور الدين لا يعرفون منهُ حرفهُ الاول بل قبحاً لهم ما اشدّ كفرهم واعمى قلبهم

هذا وان فحصنا مبدأهم السابق فحصاً منطقيّاً لوجدناهُ اوهن من نسيج العنكبوت يقولون ان الاديان تتناقض وتتضارب فاذن كلها باطلة. أفلا ترى ناشدتك الله انّ هذا

القياس سفسطي وانَّ النتيجة اوسع من المقدمات. فكم من الامور التي تكاثرت فيها أقوال الناس وآراؤهم المتباينة أفذلك دليل على انهُ ليس لها وجه صوابيّ فان صحَّ هذا القول لا اظنّ يثبت من الحقائق الّا القليل فتسقط اشرف العلوم واصدقها كعلم الكلام وعلم الفلسفة وعلم التاريخ وليس بين كلّ هذه العلوم حقيقةٌ واحدةٌ الّا جحدها بعض الناس. فكذلك حقائق الدين فانَّ جحود بعض الجهّال لها لا يثبت كونها فاسدة. أفيبطل كون الله واحدًا لانَّ الصيني او الهندي يدين بالشرك ويعبد الاصنام؟ او ليس يثبت مجيء المسيح لانَّ اليهودي ينكر علينا ذلك؟ فليحكم المنصفون وليكم الجاحدون

وان اعتبرنا (المبدأ الثاني) الذي يعتصم به اصحاب التساهل الديني وجدناهُ ليس باقل فسادًا من الاوّل. يقولون انَّ كل الديانات حسنة وليست هي الّا هيئات عرضية يعبد بها البشر إله الطبيعة

فمرجع هذا القول الى ان كلّ الديانات اختراعات بشريّة ليس لبعضها فضل على الآخر. لانهُ كيف يمكنها ان تكون من الله وفيها من التناقض ما فيها. او يستطيع الله ان يوحي بالوقت نفسهِ لاهل اوربة انهُ واحد ولاهل الشرق الاقصى انهُ متعدد او يوحي للمسيحي انهُ مثلث الاقانيم ولغير المسيحيّ انهُ متفرّد الاقانيم كما هو متفرّد الجوهر. فمن قال اذن انَّ كلّ هذه الديانات هي حسنة لا بُدَّ ان ينسبها الى البشر وينكر في الوقت ذاتهِ الوحي الالهيّ. وعليهِ فلا يبقى للانسان الّا ان يستسلم لكل اهواء قلبهِ لانهُ يجد في بعض هذه الديانات ما يزكي بهِ اميالهُ المنحرفة ويتبرأ من كلّ شهواتهِ فيرجع الى كلّ فظائع الوثنيّة وآثام المشركين. وقانا الله من هذه الارجاس وصاننا من القول بمثل هذه الترّهات

وكنّا وددنا لو سمح لنا المكان ببسط هذا البحث وبيان اكاذيب اصحاب التساهل الديني وتفنيد اقوالهم الفاسدة غير ان كثرة المادّ في هذا العدد من المشرق تضطرنا الى ان نجتزئ بما تقدّم شرحهُ ونختمهُ ببعض ما كتب ذلك السيد الجليل والكاتب الضليع جمال الدين الافغاني في رسالتهِ عن الدهريين (ص ٢٢) وفي كلامهِ شهادة حسنة على ما نحن في صددهِ. قال عن النيشريين اعني اصحاب التساهل الديني:

هؤلاء جحدة الالوهيّة في اي امّة وباي لون ظهروا كانوا يسمون ولا يزالون يسمون لتلع اساس هذا القصر المدس الشكل. قصر السعادة الانسانيّة . . . . . اعاصير أفكارهم تدكدك

هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى مراء الشقاء. وتحيط به من عرش المدنية الانسانية الى ارض الوحشية الحيوانية

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدّوها اوهاماً باطلة ومجعولات وضعية وبنوا على هذا ان لا حق لامة من الملل ان تدعي لنفسها شرفاً على سائر الملل اعتماداً على اصول دينها بل الاليق بها على رأيهم ان تعتقد أنها ليست اولى من غيرها بفضيلة ولا اجدر بمزية ولا يتفق ما يتبع هذا الرأي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالي كما تقدم بيانه

فنعم القول وبئس من ينكره. وهو احسن جواب لكراسة حديثة طُبعت في نيويورك لا نذكر اسم صاحبها امنةً وانّا نأسف على الجمعية الخيرية المارونية في تلك المدينة حيث اذنت لمثل هذا الخطيب ان يلقي خطبتهُ في التفاهل الديني بين قوم من الكاثوليك من شأنهم ان يعدّوا الدين افضل كنوزهم. فأيم الله لو لم تكسبنا المهاجرة الى اميركة غير هذه الآفة لحقّ لنا ان نزفي لبنان ونستترف على بهائه المفقود دموع عيوننا

شذرات

حلّ اللغز الذي اثبتهُ في العدد السابق من المشرق حضرة الاب الياس جباره قد حلّ هذا اللغز كثير من الادباء ذكرنا ابياتهم حسب تاريخ ورودها:

١ يا راهباً من افضل الرهبان يا سامياً بالعلم والعرفان
يا راغباً في كسب كلّ فضيلة يا زاهداً (بالمال) ذي الطغيان
التزتَ فيما قد زهدت به ولم تخفل سوى بعبادة الرحمان
(فالمال) ربٌّ للورى مستعبدٌ (فيديرهُ بشأنهِ الفتّان)
وهو الثلاثيّ الذي بجماله يسبي فؤاد الحائم الولهان
واذا جعلت الرأس منهُ مؤخرًا ألمّا غدا بل مفرسّ الاحزان
واذا وضعت القلب موضع رأسهِ فجعلت (اوّلهُ محلّ الثاني)
فترى بهِ (اباً) ولولا فسحة ال آمال ضاق العيش بالانسان
ولقد نجتُ الناس من شغفٍ بهِ لتُردَّ عنهم نقمة الديّان
لكنّما الاعداء تلبسنا الهدى فنتيهُ في اليداء كالسيان
اعداؤنا شهواتنا انضمّت بها لنا وعالمُنا الى الشيطان
فالاصفرُ الرنّان ساد على الورى فمال نور الحسن والاحسان
ذبح الفضيلة والعدالة والتقى طعن الشهامة والعلى بسنان
فعمّ القلوب فيا لهُ من مُفسدٍ فصل المالّ وعاث في الاكوان
والالة النرّاء من تغريرهِ تبكي الحمام ينوح في الاغصان